الرؤى السادسة

في الوقت الضائع

مي الكردي

إليكَ أنتَ يامنْ دخلتَ عنوةً لحياتي العاصفةَ..فتقفُ بها وحيداً تنطوي إليَّ بكلماتك الهادرةَ..تبوح إلى قلبي المُمزقِ كحباتِ الرُمَّان المُتراميةَ..تُنبأني بمدى جمال روحي في عيناكَ الرائعةَ..

مي الكردي

في الوقت الضائع

كانت تجلس على صخرة كبيرة من الصخور المنتشرة على كورنيش الإسكندرية، مكانها المفضل، أشعلت سيجارتها الرفيعة وشغَّلت السماعات الكبيرة و وضعتها على رأسها، وأغمضت عينيها تستمتع بالموسيقى الصاخبة بأعلى صوت، تفصلها عن العالم كله،وتُبعدها عن أي واقع، أخذت نفسًا عميقًا لتشعر برائحة البحر، ونسيمه الرائع البارد في أواخر فصل الشتاء، تطاير شعرها حولها مُثيرًا غموضًا، مُطلِقًا أسهمه في قلب الواقف يراقبها، لم يحاول أن يُحدثها ويقاطع هذا المشهد البديع.

هي بشعرها الناري المُتطاير، وغروب الشمس البرتقالية، كما ستغرب هي عن ناظريه بعد قليل، سيقترب هذه المرة ويحاول تبادل الحديث معها، اقترب بالفعل حتى أصبح في مجال رؤياها، نظرت إليه غير عابئة، ثم عادت إلى بحرها بأمواجه المُتلاطمة مرة أخرى ورزازه المُتطاير عليها، بعد مرور نصف ساعة حان موعد رحيلها، نظرت لساعتها، ووقفت وهي تنزع السماعات وجدته أمامها بطوله المهيب، ووجلت أكثر عندما سمعته يقول بثقة وابتسامة حانية هادئة:

- المرة الجاية تعالي من غير السماعات عشان أعرف اتكلم معاكِ.

قالت بذهول:

- هو حضرتك تعرفني قبل كده.

قال بنفس الثقة:

- غير إني شوفتك هنا قبل كده، لا معرفكيش.

- طب عن إذنك لو سمحت.

ابتعد ليسمح لها بالعبور على الصخور حتى تصل لبداية الكورنيش، وتوْقف أقرب تاكسي وتبتعد.

في الأسبوع التالي، بنفس المكان ونفس الميعاد وجدها تجلس، ولكن جلستها غريبة، ليست الشامخة اللامبالية ككل مرة، اقترب أكثر وجدها واضعة وجنتها فوق كفها الرقيق وتبكي، تبكي بهدوء وحزن شديدين، لم يتمكن من الوقوف صامتًا ككل مرة، اقترب وجلس قبالتها على صخرة أخرى قائلًا:

- إوعي أبدًا تسمحي لأي بني آدم إنه يخليكي تحزني بالشكل ده، رفعت له مقلتين كمحار لؤلؤ أسود، آسرته حتى وهي باكية،

obeikan.com

وقالت محاولة الرجوع لشموخها مرة أخرى:

- لوسمحت سبني في حالي.

- إنتِ متجننتيش قبل كده واتكلمتي مع حد متعرفيهوش.

- لأ طبعًا، أنا مبتجننش.

- خالص؟! مش معقول مفيش حد كده.

- انا كده، عن إذنك.

نهضت وهي تكفكف دموعها فنهض قبالتها قائلًا:

- أرجوكِ هتخسري إيه لما تتكلمي مع حد غريب ميعرفش عنك حاجة غير اللي تحبي تقوليه؟ ولا حتى يعرف اسمك.

أطلَّت عليه من لؤلؤتيها قائلة:

- هخسر كتير، عن إذنك، وابتعدت مرة أخرى.

وبعد أسبوع في نفس المكان والميعاد، وجدها تنفخ دخان سيجارتها الرفيعة، وقف بجوارها دون أي كلمة يستمتع بهواء الشتاء البارد ورزاز البحر الثائر.

- قولِّي على حاجه مجنونة أعملها حالًا.

نظر بجواره غير مصدق أنها تتكلم معه، عيناها كانت غريبة هذه المرة، ثائرتان كالبحر الذى تجلس أمامه، طالت نظرتها ثم قال

مشيرًا للبحر:

- جربتي تنزلي الميا لوحدك.

- في الجو ده؟! ميبقاش جنان ده يبقى انتحار.

أخيرًا سمع في صوتها نبرة مرح فقال باسمًا:

- أول مرة اسمعك بتتكلمي كده.

- كده ازاي؟

جلس بجوارها قائلًا:

- كده بحرية ومرح.

نفخت دخان سيجارتها قائلة بوجوم:

- حرية؟!... المهم شوفلي جنان تاني غير نزول البحر في البرد ده.

ابتسم قائلًا:

- جربتي تجري تحت المطر.

انطلق من بين أجمل شفتين أروع ضحكة سمعها في حياته، بينما قالت من بين ضحكاتها:

- يعني مفيش فايدة؟ لازم عشان اتجنن اتبل واتغرق وأعيا يعني؟ مينفعش اتجنن بعقل شوية.

obeikan.com

– إنتِ سامعة نفسك؟ هو فيه حاجة اسمها اتجنن بعقل.

– أه عادي، معلش تعالى على نفسك شوية وشوفلي حاجة مجنونة بس بالراحة، دوَّر كده في أول مرحلة هتلاقي.

جاء دوره ليضحك من قلبه على جمال الكلمات من بين شفتيها ومرح أفكارها، وقال:

– حاضر هدور و أقلك المرة الجاية، هو إنتِ ليه صحيح بتيجي كل مرة في نفس اليوم والميعاد؟

– لأ بص... لو هوافق إنك تقعد جنبي وتتكلم معايا يبقى بلاش أي أسئلة خاصة خالص.

– ماشي اتفقنا.

– اتفقنا.

– ليه بقى بتيجي هنا في نفس الميعاد كل أسبوع؟

أطلقت ضحكتها الرائعة ومالت معها إلى الخلف قليلًا ثم قالت:

–مش بتيأس إنتَ صح، طب إنت بتيجي ليه؟

–أنا باجي عشان أشوفك، شوفتي صريح إزاي؟

نظرت له بتمعن محاولة سبر أغوار عقله، فهو غامض بالنسبة لها كما هي بالنسبة له تمامًا.

انتفضت واقفة، وهي تقول:

- أنا لازم أمشي، اتأخرت.

- اتأخرتي على إيه؟

- بتحاول تتذاكى عليا؟

- طب مش هتقوليلي اسمك.

- احنا مش اتفقنا.

وسارت مبتعدة دون أن تسمعه يقول:

- خايف مقدرش على الاتفاق ده.

توالت لقاءاتهم الأسبوعية، الصدفة الموعودة كما أطلقت عليها هي، حتى قاربت شهور الشتاء على الانقضاء، ظلت طوال الوقت بالنسبه له كما هي، أما هو فعرفته بعمرو، أخبرها كل شيء عنه، عن شغله كمحاسب، وعن عائلته البسيطة، أمه وأخته ووالده، أخبرها عن أحلامه في السفر خارج أم الدنيا، أخبرها عن آماله العريضة في التغيير بعد ثورتين عظيمتين مات فيهما الكثير من الأعزاء، ومع ذلك لم يحدث أي تغير يذكر، أخبرها عن لحظات ضعفه وحزنه واكتئابه، ولكنه لم يخبرها بعد عن اشتياقه إليها، ورغبته في فض هذا الاتفاق بينهما، فهو يتوق لسماعها ومعرفة كل ما يخصها.

obeikan.com

هي تتكلم معه عن مشاكله، تحكي عن مشاكل صديقاتها المقربات وحتى البعيدات، تأخد رأيه في أشياء كثيرة، ولكن بطريقة ملتوية بحيث تمكنها من عدم ذكر أية تفاصيل عن نفسها.

كان اليوم هو يوم اللقاء، وأيضًا يوم قرر فيه أن يصارحها بما يخالجه من مشاعر تجاهها، فهو يفكر فيها ليل نهار، لا تبارح خياله، وكم أصبح هذا اللقاء الأسبوعي بالنسبة له الماء والهواء، الحياة كلها.

أصبح يعمل طوال الأسبوع فقط ليراها في يومهم، ويحكي لها عن كل ما يحدث معه، ويسمع ضحكها على طرائفه، وحزنها على أوجاعه، وجدها تجلس كالمعتاد تنفخ دخان سيجارتها الرفيعة، جلس على الفور ففزعت قليلًا وقالت ضاحكة:

- إيه ده خضتني.

- مش هتبطلي بقى السجاير دي؟

- إنت تاني؟

- أنا بتكلم جد والله هتتعبك في المستقبل جدًّا.

- إنتَ غريب جدًّا، كان المفروض إنت اللي تشربها وأنا اللي أقولك الكلام ده، زي كل البشر.

- ومين قالك إن أنا وإنتِ زي كل البشر؟ ومش في دي وبس في كل حاجه، احنا أغرب اتنين ممكن يتقابلوا.

ابتسمت لكلامه وأشاحت بوجهها ناظرة للبحر بأمواجه التي لاتزال تُعلن ثورانها ورفضها لكل شيء.

- حبيتي قبل كده؟؟؟؟

نظرت له متفرسة لدقيقة كاملة، تريد أن تعرف ماوراء السؤال، حاولت اللف والدوران فقالت:

- اشمعنا.

- جاوبي على طول مش هتدخليلي قافية.

- أكيد حبيت ومين مبيحبش.

- حبتيه أوي؟؟؟؟

- آه.

- وإيه اللي حصل مكملتوش ليه.

نظرت أمامها قائلة من خلف دخان سيجارتها:

- ومين قالك إننا مكملناش.

انقبض قلبه ومع ذلك سألها بهدوء:

- أُمَّال إيه اللي حصل؟

- مات.

obeikan.com

قالتها باقتضاب شديد، كأنها تريد أن تنهي الموضوع تمامًا وتردم عليه رمال الماضي، ولكنه تابع متسائلًا بأسف:

- أنا آسف البقاء لله، ممكن تحكيلي مات إزاي وإمتى؟

- مات من زمان، وأرجوك مش عايزة أحكي في الحوار ده. امتثل لطلبها وأفكار كثيرة تشغله، هل مازالت تحبه؟ ألذلك هي حزينة طوال الوقت؟ ألذلك لا تريد أن تخبره أي شيء عنها؟ ألأنها مازالت تُحبه ولا تريد أن تدخل أي علاقة جديدة؟.

صارعته الأسئلة ولم ترحمه، نظر إليها مرة أخرى، ملامحها البريئة، شعرها الناري الثائر كما أفكارها، قال على الفور دون أن ينصاع لأفكار عقله:

- أنا بحبك.

لم تلتفت إليه، تسمرت كما هي، لا تدري بماذا تُجيب على جملته تلك، كل ما حاولت فعله هو أن تقول:

- بتحب واحدة متعرفش اسمها؟! متعرفش عنها أي حاجة تقريبًا.

- لأ أعرف كتير، أعرف عقلك وجنانك، أعرف بتفكري في إيه مجرد ما أبص في عنيكِ، أعرف عصبيتك اللي بتحاولي تسيطري عليها، وبتفشلي في الغالب، وأعرف كرهك لواقع عايشاه، صحيح

معرفش إيه هو، بس النهاردة سمحتيلي أعرف جزء منه لما قلتيلي إن اللي كنتِ بتحبيه مات.

أعرف إنك حزينة على طول، وإن الطفلة اللي جواكِ نفسها تفرح، بس من كتر البكا نسيت الفرح، ومحتاجة اللي يدلَّها على طريقه من جديد، أعرف إنكِ بتفهمي أنا عايز أقولك إيه بمجرد ما أبصلك، وتضحكي عليه ويطلع صح فعلًا، أعرف ضحكتك اللي بعشقها، أعرف هدوئك وأنا متعصب، أعرف إزاي بجيلك جري احكي معاكِ عشان تهدِّيني، كل ده يخليكِ أحلى حاجة في حياتي كلها.

أبصرته بفاه مفتوح وعيون جاحظة، طوال حياتها لم تكن مهمة عند أحد بهذا القدر، ولم ينظر أحد إلى دواخلها بهذه الطريقة، أبدًا لم يحبها أحد هكذا، انتابها ذعر ورعب، ماذا ستفعل معه كيف تخبره الحقيقة؟ هل هي أيضًا عشقته كما يعشقها؟

نهضت من جواره قائلة:

- أنا لازم أمشي... الوقت.

نهض أمامها قائلًا بضيق:

- إنتِ هتهربي تاني؟؟؟

- لو سمحت ياعمرو، سبني أمشي.

– بس أنا عايز أعرف ردك، إنتِ بتبادليني نفس الشعور وألا لأ؟

أشاحت ببصرها بعيدًا، فتلمس ذقنها وأعاد مُقلتيها إلى عينيه التي تبثها كل الحب، شعرت بكهرباء تسري بجسدها، حاولت الابتعاد عن لمسته البركانية وعن نظراته الحارقة، فاختل توازنها، كادت أن تقع فأمسك يدها وخصرها بيده الأخرى، كما لو كانت الطبيعة تآمرت عليها، فهبت رياح جعلت شعرها الناري يتطاير، فكان تأثير ذلك عليه أخطر من الحمم البركانية بداخلها، تأكد من تمالكها لنفسها، وتركها وابتعد قليلًا فاعتدلت هي وتقدَّمت للأمام قائلة:

– عديني ياعمرو عايزة أمشي.

– هستناكِ الأسبوع الجاي.

نظرة الرجاء بعينيه تُعذبها، أبعدت بصرها عنه قائلة:

– إن شاء الله.

– هستناكِ بالرد على كلامي.

أطلقت تنهيدة حارة على الرغم من برودة الجو، ولكن توترها كفيل بجعل الجليد يغلي، اكتفت بإيماءة من رأسها أي: نعم، ثم سارت مبتعدة وعيناه تتابعها بشوق.

لم تـأتِ أبـدًا بعـد ذلـك، فـات أسـبوع وآخـر، وتـلاه آخـرون، وهـي لم تظهـر أبـدًا، تفتحـت الأزهـار، وانتشر جـو الربيـع المـبهج، وهـو بداخلـه حـزين ونـاقم عـلى الـورود الـسعيدة بغيابهـا، وعـلى الفراشـات الطـائرة بسعادة أثنـاء عـدم وجودهـا، يـشعر أن الطبيعـة تخالفه وتعاكس مزاجه المتدهور باستمرار كلما زادت مدة غيابها.

والـذي يزيـد مـن حرقـه دمـه أنـه لا يعـرف عنهـا أي شيء، لا رقم هاتف ولا عنوانًا ولا حتى اسمها، كيف لم يُصر عليها ليعلم؟ وها هو يموت يوميًّا بسبب غيابها، كم كان غيابها قاتلًا.

وها هـو يسير تائهًا في الشوارع باحثًا في كل الوجوه عله يجد وجهها الحبيب وعينيها اللؤلؤيتين، لم يعد يطيق صحبة أحد، فقط صديق وحيد له يعلم عن حاله المعذب ويحاول إخراجه منها، وها هـو ياخـذه لمقهى جديـد (كافيـه) بإحـدى المراكـز التجاريـة ليتـذوقا قهوتـه، وأثنـاء ارتـشافه أول رشـفة لمحهـا، يكـاد يُقـسم أنهـا هـي، شـعرها النـاري يلتـف بـين وجـوه الآخـرين، وعيناهـا، ووجههـا البريء يتوه وسط الزحام، خرج مُسرعًا يجري كالمجنون، إنه حتى لا يعرف بما ينادي عليها.

هل كانت هي أم أنه جُنَّ جنونُه وأصبح يتخيل ملامحها بين البشر؟ مازال يرى شعرها الناري أسرع أكثر، ووجدها تدخل حمام

السيدات، وصل أمامه، سينتظرها حتى لو للصباح، خرجت أكثر من سيدة من الحمام، فكرة مجنونة تتلاعب برأسه المُعذب وقرر تنفيذها، دخل الحمام ونظر حوله لم يجد غيرها تقف أمام المرآة، التفتت على الفور لترى من هذا المجنون الذي دخل حمام السيدات؟ نظرة الذهول على عينيها كانت لا توصف، بادرها قائلًا:

- إنتِ اختفيتي كده إزاي، ازاي.

- عمرو إنت اتجننت؟

- أيوه اتجننت ومش همشي من هنا من غيرك، لازم نقعد ونتكلم.

- مااااامي أنا خلصت تعالي.

سمع هذا النداء الطفولي من خلف أحد الأبواب المغلقة، وأدهشه أن وجدها ترد قائلة:

- حاضر ياحبيبتي.. انا جاية اهُه.

بُهِت من ردها وقال:

- دي مش بنتك أكيد.

- لأ بنتي وأرجوك إمشي من هنا قبل ماحد يدخل وتبقى فضيحة.

- مش همشي قبل ما افهم كل حاجة.

- هجيلك بكرة في نفس المكان والميعاد وأفهمك كل حاجة، يالا ياعمرو أرجوك.

- مااااااامي.

التفتت قائلة:

- حاضر ياحبيبتي ثواني.

ثم التفتت إليه راجية:

- يالا ياعمرو أرجوك.

- واتاكد إزاي إنك هتيجي؟

- هاجي، هاجي عشان أريحك، هاجي والله عشان خاطرك.

نظرات مُقلتيها صادقة، خرج من الحمام وقلبه لا يطاوعه أن يتركها تبتعد، ظل واقفًا بعيدًا يُراقبها وهي تخرج مع طفلة في الخامسة تقريبًا من عمرها، تُشبهها لحد كبير ولكن لون شعرها أهدأ.

سارا لخارج المركز التجاري تمامًا، وجد نفسه يسير خلفها مسلوب الإرادة، حتى ركبت هي والطفلة سيارة وانطلقت بها، فأوقف أول سيارة أجرة قابلته، وانطلق خلفها حتى وصلت لبناية كبيرة تطل على الكورنيش، نزل من السيارة، وتوجه للبناية، وبقليل من اللباقة وكثير من المال استطاع أن يعرف من البواب

أنها مدام لبنى زوجة الباشمهندس حسن الدسوقي، ابن رجل الأعمال الكبير ابراهيم الدسوقي، والطفلة ابنتهم ليان.

ترك البواب والبناية العملاقة وظل هائمًا على طريق الكورنيش، لا يدري أين ستاخذه قدماه، ولا كيف سيهدي قلبه ويرتاح عقله، كانت الساعة الرابعة عصرًا تقريبًا، ظل هكذا هائمًا حتى أقبل عليه الليل، جلس بإحدى الكافيهات على الشاطئ الرملي يُطالع القمر.

نسى صديقه ونسى أن يعود للمنزل، نسى حتى أنه لم يأكل أي شيء منذ الصباح، ظل هكذا في مكانه للفجر، لم يملْ، حتى إنه نام قليلًا بمكانه، وأخيرًا اضطر أن ينهض ليعود لبيته، مرت الساعات وأتى موعد لقائهما الذي وعدت به، كان هناك من قبل الموعد بساعة، لم يعد لديه صبر، كم يتمنى أن يصفعها ويحتضنها في نفس الوقت، بداخله غضب غير محدود، ولا يعرف إذا كان سيتمكن من السيطرة عليه أم لا، وصلت أخيرًا متشحة بالأسود، كم هي جميلة حتى في الأسود، حتى وهي حزينة هكذا، اقتربت قائلة:

- ازيك ياعمرو.

- الحمد لله بخير يامدام لبنى.

جلست على صخرتهما قائلة بهدوء:

– كنت متوقعة إنك مش هتهدى غير لما تعرف كل حاجة، عرفت منين؟

– البواب.

– مشيت ورايا يعني، أوكيه عايز تعرف إيه تاني.

– عايز أسمع منك الحقيقة، عملتي كده ليه؟ ليه مقلتيش من الأول إنك متجوزة.

– لأني مش بعتبر نفسي متجوزة.

صُدِم من الإجابة، يعلم أن بداخلها ثائرًا ولكن ليس لهذه الدرجة، ولكنه لم يتكلم، تركها تُكمل قائلة:

أنا مكدبتش عليك لما قلتلك اللي حبيته مات، هو مات فعلًا بالنسبالي من خمس سنين، من بعد ماولدت ليان بنتي، اتحول لواحد تاني، أهملني وبِعدْ عني، لأ وكمان كان بيخوني، حاولت أنفصل لكن هو مرضيش ولا أهلي وافقوا.

كان بيصالحني ويرجع بعدها بشوية زي الأول وأسوأ، أول مرة ضربني صممت اطلق، بس برضه أهلي رفضوا، وهو مرضاش، وعملهم نفسه ملاك ومش هيعمل كده تاني.

احنا عايشين في مجتمع معاق فكريًّا، عنده الست اللي عايزة

تطلق على إنها طلبت ترتكب كبيرة من الكبائر مثلًا، مجتمع بيبص للمطلقة على إنها آثمة، ومن غير أي تفكير، واللي يعني كويسين شوية هيقولوا لأ، هي مش آثمة بس هتبقى إن شاء الله، عايشين مع ناس بيحرمو احلال ربنا عشان نظرات ناس تانية زيهم، أنا قابلتك في وقت كنت أضعف فيه من القشة، مُنهكة وفاضية وتعبانة، ومازلت، لما قلتلي بحبك مكنتش عارفة أعمل إيه! أجري لحضنك وألا أهرب بكل حياتي الخربانة وعقدي وكلاكيعي.

مكنش قدامي غير إني أهرب، وهفضل أهرب لحد ما أقدر أقف على رجلي، وأنقذ نفسي من القرف اللي أنا عايشة فيه.

أبْكتْ قلبه دمًا، ودموعها اللي كانت تسيل بهدوء وسط كلماتها طعنت صدره آلاف الطعنات الحادة بسكين بارد، كيف يُنقذها مما هي فيه؟ كيف يقف عاجزًا هكذا لا يسعه حتى الاقتراب لمساعدتها؟ أي محاولة منه للاقتراب ستكون النتيجة هي الجحيم بذاته.

قال بعد صمت طويل:

- كل اللي أقدر أقلهولك إنك حرة، إنتِ إنسانة حرة، متستنيش رأي حد، ولا تعتمدي على حد، وشوفي الصح للبنى واعمليه، فكري كويس وأمني مستقبلك ومستقبل بنتك، وابعدي، لما تاخدي القرار هيضغطوا عليكِ كتير، بس ميهمكيش

اصمدي وقاومي لحد ماهما اللي يتعبوا ويقفوا جنبك في النهاية، ولو احتاجتي أي حاجة أنا موجود جنبك كأخ وصديق لحد ما أقدر أبقى جنبك بالصفة اللي أتمناها، أنا مش هقدر أضغط عليكِ بوجودي في حياتك.

هبعد زي ماكنتِ عايزة، وإنتٍ معاكِ أرقامي وأكونت الفيس بتاعي، تقدري تكلميني في أي وقت حسيتي إنك محتجالي أساعدك فيه في أي حاجة، ونهض لأول مرة يُنهي هو اللقاء بينهم، ابتعد وهو يلعن نفسه لذلك الابتعاد، ابتعد وهو يكره نفسه لهذا الابتعاد، ابتعد ولم ينظر خلفه، فلو نظر ستطوله اللعنة كما طالت زوجة نوح، وسيهلك في طوفان حبها ويُهلكها معه، ابتعد وهو يتساءل لماذا قابلها الآن، قد يكون لقاؤهم أخطأ التوقيت، ولكن من المؤكد أنه سيكون القشة التي قصمت ظهر البعير.

وكان قلبها يردد:

"أحيانًا يسوقنا القدر إلى أشخاص تُلامس أرواحنا لابد أن تتيقن وقتها من وجوب الابتعاد..الاختفاء..الرحيل..فروحك لن تحتمل عذاب من نوع أخر قد يسوقنا إليه هزيان الحرمان...

نعمة بحمد الله